اعرضوا عن حكمك الموافق له ثانياً . او النفي لصفة الايمان عنهم بالاطلاق فيدخل فيها ما ذكر ويدخل فيها الايمان بالنبي صلى الله عليه وسلم وما جاء به اي انهم فسدت نفوسهم وبطلت ثقتهم بالدين مطلقاً حتى لا يرجى منهم ابداً .

وظاهر ان القول بوجود حكم لله أو احكام متعددة في كتاب لا يقتضي ان يكون ذلك الكتاب كله صحيحاً سالماً من التحريف مشتملاً على جميع ما انزله الله تعالى . فاني اقول ان كتاب السيرة الحلبية مثلاً فيه حكم الله ولا اعتقد ان كل ما فيه من الله تعالى وانه سالم من التحريف ولا حاجة لغيره بل اعتقد مع هذا ان فيه اقوالا اجتهادية وآراء للمؤلف ونقولاً لا تصح واننا في حاجة الى غيره (يتصل الكلام)

## باب التربية والتعليم

(تعليم القراءة والخط والرسم[1])

(المكتوب ٣١) من هيلانه الى اراسم في ١٥ مارس سنة — ١٨٥

لما يتعلم « أميل » القراءة ولا يكاد يعرف حروف الهجاء وربما كنت أنا الملومة على ذلك لأني لم احثه على التعلم الا قليلاً . ذلك أني لا أنفك أذكر تلك الفضاضة والكراهة للتعليم الاول وما سببه على ما أرى الا الإكراه عليه وهضم ما يجب لطفل صغيرة مثلي من حق الحرية

(١) معرب كتاب أميل القرن التاسع عشر في التربية والتعليم

والاختيار . وارى ان حملي «أميل» على التعلم لان غيره يتعلم كما كان يقال لي جناية عليه لان عاقبة هذه الحجة ان تطبع الناشيء على التقليد الاعمى والاقتداء بالناس فى جميع عاداتهم من غير تفرقة بين الحسن والقبيح . لم نختار ركوب الصعب فى هذا السبيل ولدينا المركب الذلول وهو حمل الطفل على التعلم بالتشويق والتنويه بما فى المطالعة من اللذة فقد يستغني الانسان عن الاشياء التى يجهل فوائدها ومزاياها

أنا جاهدة فى تلمس الوسيلة التى تنبه اشتياق « اميل » الى الحروف المطبوعة وتبعث فيه الميل الى معرفتها . واذا علم ان القصص العجيبة والاساطير الغريبة التى افكّهه بملحها وافاكيهها كلها مأخوذة من الكتب فلم لا يجدّ به الميل وتحمله الرغبة على ان يأخذ تلك الحكايات من مصادرها ويستخرجها من ينابيعها بنفسه فى يوم من الايام ؟ واذا تولدت فيه هذه الرغبة يوماً ما فكل ما بعدها يتمها من نفسه وانني لا افتأ انتظر تولدها وانبعاثها الحسن فيه وقد طال تأخرها

لقد صارت القرآءة لنا حاسة سادسة بما رسخت ملكتها فينا ومع هذا لم نحط خبراً بالعقبات التى تحول دون وصول الطفل الى معرفة الحروف الهجائية بسهولة . انا باحثة عما عساه يكون منشأ لهذه العقبات الثابتة الراسخة ويشق عليّ الوقوف عليه . فليت شعري أليس هو ما به الفرق بين علم القرآءة والكتابة وبين سائر العلوم فاننا نرى هذه العلوم يساعد بعضها على معرفة بعض ويُعدُّ متعلم احدها ويؤهله لفهم الآخر اذا هو انتقل اليه لما بينها من الصلة واتحاد طرق الدلالة ونرى علم القرآءة والكتابة بخلافها نرى انه لا صلة بين الاشياء وبين هذه الاشكال والرسوم

الصناعية التي وضعت للدلالة عليها فاذا انتقل المتعلم من مسميات الاشياء الى اسمائها المرسومة في الورق ينقطع الاتصال به فجأة . لا يصعب على « أميل » ان يميز فيما يراه من صور الاشخاص المرسومة وجوه أصحابها اذا كان رآها لان الشكل في الصورة والمصوّر يكاد يكون واحداً فأما الاسم المكتوب فانه لا يمثل له شخص المسمّى بحال من الاحوال . فهل توجد طريقة لربط هذين النوعين من الاشياء في فكره واعني بهما الرسم والكتابة ؟ هذا امر يطلب منك

أنا اكلم « اميل » بالفرنسوية وهو يتكلم مع أهل كورنواي بالانكليزية فهو بهذه الطريقة يتعلم لغتين من اللغات العصرية بلا مشقة بل لا حرج عليّ اذا قلت بلا شعور منه بذلك . الا انه يغلط فيهما غلطاً غريباً فيمزج احياناً بعضهما ببعض مزجاً يكون من أشد الاضاحيك استضحاكاً . مثل لنفسك غلاماً يقول مخبراً لك بأنه يريد الخروج "Je voudrais to go out?" ألست تعرب لهذا الخلط ضحكاً ؟ . لا غرو فما كان تكوّن اللغات المختلطة فيما سبق الا في مثل هذه الحالة وهي تجاور جنسين متمايزين واختلاطهما زمناً في مكان واحد . أنا اعتقد انني أعلم « أميل » وهو في الحقيقة معلمي لانه قد فتح عيني وهداني الى عدة مسائل ذهب تعبي في البحث عن حلها في الكتب سدى . وليت شعري هل تصدقني اذا قلت لك انه يعلمني التاريخ

يعرف « اميل » الرسم والتصوير وان كان لمّا يعرف القراءة والكتابة فهل وُلد مصوّراً ورساماً ؟ لا أنكر ان النظر الى خرابيشه (١) يضعف

(١) جمع خرباش أو خربوش وهي الخطوط الفاسدة غير المنتظمة ويقال خربش الخط

هذا الاعتقاد او يذهب به بعيداً ولكنها على كل حال صور آدميين وحيوانات ومساكن وغير ذلك . ولا يكتفي بأن يحاكي بالقلم العادي أو الرصاصي شكل ما يقع عليه بصره بحسب ما يتفق له بل أراه يحاول التعبير عما في نفسه من الوجدانات وما في فكره من الحكايات بما يرسمه على هذه الاوراق من خرابيش الخطوط والصور . انظر كيف حاول ان يكتب اليك مكتوباً — استغفر الله قد اخطأت في كلمة يكتب وكلمة مكتوب وكان ينبغي ان أقول : يرسم لك خطاً بربائياً[1] وانى لاخشى ان يصعب عليك فهم الرسم الذي يرسله اليك فأرجو ان اكون انا في هذه الدفعة شامبوليون هذا الرسم[2] فأقول :

« تربية احساس الشفقة والرحمة وحادثة غرق »

يمثل لك الرسم ريحاً عصوفاً هبت لليلتين من شهر ابريل وظلت تعصف الى الليلة الثالثة منه وليس هذا مما يحصل هنا نادراً ولله بيوتنا فانها مبنية بالصوان ( وهو الحجر الكثير في الضواحي ) ولولا ذلك لتداعت او لدكت بقوة العواصف والأعاصير الشديدة التي تضطرب لها هنا السماء والأرض والماء على ان البحر لم يُرَ منذ سنين بمثل هذا الاضطراب الذي احدثته هذه العاصفة ولا يجد الواصف لهذه الحالة وصفاً الا ان يقول ان حجاب الروع والفزع قد أُسدل على هذا الكون الذي لا نهاية له لا يسمع من لغط الناس المشؤم في هذه الحال الا اخبار الغرق

---

(١) البربائي الخط الذي يوجد على جدران البرابي وهي هياكل ومعابد معروفة في مصر (٢) شامبوليون هو اول من حل الخط البربائي والهروغليفي بقراءة حجر رشيد المشهور

والغرقى تتردد من ساحل الى ساحل ولم يكن لخفراء السواحل يومئذ هم منذ طلع الصباح الا مراقبة البحر الهائج بمناظيرهم المقربة للبعيد يصوبونها الى الافق من على تلك الصخور الوعرة المحيطة بالخليج وكانوا لا يكادون يرون فى ضوء ذلك الصباح الملون بخضرة البحر الحمراء (الضاربة الى سواد) على أن اشعة ابصارهم قد خرقت تلك الحجب الجوية وعلم الناس أنهم ميزوا من وراء تلك الامواج المتراكبة المصطخبة سواد سفينة على بعد قد وقعت فى شعب مخيف فانكسر صاريها الاكبر وتحطمت جوانبها فسقطت تضطرب كحوت اصيب بجروح عظيمة فصار يتقلب على جنبيه وكان مما يثير ثائر الخوف ان تلك الامواج التى تهيجها العواصف فتعلو فجأة كالجبال كانت تتلاعب بتلك السفينة فتقذفها آناً بعد آن بتلك الصخور الصم. وصار يتمنى للانسان فى ذلك الجو المطبق المحزن ان يميز فى ضوئه الضبابى اللون ايدي الناس فى السفينة تحرك قطعاً من الشراع

لم يكن للناس حينئذ من امنية الا نجاة هؤلاء الغرقى على أنهم لم يكونوا يجهلون صعوبة انقاذهم وتعسره. نعم ان اهل كورنواي اولو شجاعة ونجدة ولكنهم مع ذلك اصحاب حذر وفطنة. هدأت الريح قليلاً بعد شروق الشمس كامدة شاحبة والبحر ما زال متمادياً فى طغيانه، مصراً على عدوانه، فكان يخيل لرائيه يتحرك بنفسه أنه اخذته حمى نافض من القاصف فاحدثت فيه هذه القوة العجيبة فى الرعدة والاضطراب. وكان بعض الصيادين المحنكين يرمون بابصارهم الى الامواج يتتبعون حركاتها باعينهم المدربة ثم ينفضون رؤسهم وتتلو وجوههم كآبة اليأس وكان لسان حالهم يقول لا حول لنا ولا قوة على انقاذ هؤلاء المساكين

أتى على الناس نحو نصف ساعة يتراوحون بين اليأس والرجاء كان كنصف قرن . ذلك انهم كانوا يرون بعض اخوانهم بين مخلب الموت وناب وهم يرجون منهم النجدة ولكنهم لا يجدون لانجادهم سبيلا . وبينما هم فى هذه الحالة اذا بزورق النجاة قد أحضر فصاح الناس صيحة واحدة كانت منبعثة عن جميع الصدور وهذا الزورق يده الملاحون المدواهي الكبيرة وقد احضر بقوة السواعد والخيول ووضع فى مكان من الساحل يرجى منه الوصول الى الغرق وما عتم ان امتلأ بالناس على وهنه وخفته وعظم الخطر فى ركوبه وقد تحمل (قوبيدون) الذى تطوع فى هذه الخدمة منذ سنتين او ثلاث كل مشقة فى الذود عن مكانه وحفظ مجداقه وكان الذين ركبوا الزورق يحسدونه على شرف التعرض لمخاتل المحيط وفخاخه وما نجح فى ذوده ودفاعه هذا الا بقوة حقوقه المكتسبة بسابق هذه الخدمة . أنزل الزورق فى البحر وانحنى المجدفون الجريؤن على مقاعد تملو نصفها الامواج وتوغلوا فى البحر وكان « اميل » على ما ارى يأسف أنه لم يكن له من السن والقوة ما يؤهله لمساهمة رفيقه قوبيدون فى هذه السياحة الدالة على جراءة الجنان ، وشرف الوجدان ، واراه قد اكتسب فى هذا المشهد من العبرة باخلاص المخلصين ، والأسوة باحسان المحسنين ، ما لا ابيح لنفسي التعبير عنه بالكلام ، ومحاولة شرحه بفصاحة البيان ، لئلا اضعف من قوته ، واشوّه من صورته ، فان حضور المشاهد العظيمة ، ورؤية الأخطار الكبيرة ، تعلمنا بغير كلام ، وتربينا بدون إلزام ،

غاب الزورق ساعات والناس فى قلق مميت واذا بصائح يصيح « ها هو ذا راجع » وكان يقترب من الشاطئ حقاً والناس فى ريب من

نجاحه وما كان اشد شجاعته فى مساورة غضب الامواج الثائرة ! ! أنا لا اشك فى أنك تعرف ما تأتى به صناعة الملاحة من هذه العجائب وتلك الزوارق المنشأة من الهواء والبلوط التى هي فى الخفة كالريشة وفى القوة والمتانة كما يحب الخير ويرضى . كان يخيل للرائي فى كل لحظة ان الزوابع الجوية المصطخبة ستبلع بقوتها هذه الصدفة الخشبية التى تطاولت بجراءتها الى منازعة البحر فى غنيمته ولكنها تطاولت فطالت وحاربت فظفرت فكأن هذا الزورق كان انساناً يسبح وقد اعطته جنية طلسمها ليتقي به مفزعات النوء . وما كان ابدع منظر رجاله والماء يتدفق من فوق قلانسهم المشمعة وثيابهم المزيّنة وهم راجعون اعزاء ظافرين وان كان الموج نال منهم وترك اجسامهم كاجسام الضفادع ونحوها من حيوان الماء وقذف بهم أحياناً فى مهاوي عميقة كبطون الاودية وطفر بهم اخرى الى قنن عالية كشعاف الجبال يظهرون بها للأبصار فى ضوء الشمس السقيم ولو انه نزع مجاديفهم من ايديهم لبادروا لاسترجاعها بقوة ، كما يأخذ الشجاع سلاحه من عدوه

صاح قوم من الملاحين كانوا على صخرة قائلين « نجوا »

فلما سمعت هذا الصياح شخصت ببصري الى الزورق الذى كان يدنو من الشاطئ دنوًا غير محسوس وانشأنا نميز بين رجال الزورق ثلاثة من الغرقى شاحبي اللون شحوباً مفزعاً وفتاة صغيرة ليس فيها ادنى علامة على الحياة

وصل الزورق بعشقة شديدة ورسا فى مرسى من المراسي المحمية بالخليج فلم أبث ان تلقفت بعض التفصيل عن حادثة الغرقى فعلمت أن

انقاذ الغرقى كان عسراً خطراً وانهم لقوا الأٰلاقى الشديدة ويظن انهم باتوا ليلتين على الطوى . وقد وجدوا معشّشين كالطير البحري حول بقايا ادوات السفينة التى لم يدمرها البحر كلها تدميراً . ولا شك انهم لما صاروا عرضة لجميع شدائد الجوّ تسلقوا هذا الموضع الحرج عند اغتيال الأمواج سطح المركب وثبتوا فيه بخوارق الشجاعة وقد تعب منقذوهم فى تخليص الحبال من ايديهم التى أيبسها البرد وكانوا عاجزين حتى بعد نجاتهم عن مدافعة النعاس الذى استرندهم ودفع النوم الذى اناخ عليهم بكلاكله

كان الناس يتساءلون : من هم ومن أين أتوا ؟ ومما كان يزيد فى سوء حالهم انهم ما كانوا يجيبون جواباً ، لانهم لا يفهمون خطاباً ، فحسبت انهم يعرفون غير الانكليزية فخاطبتهم بالفرنسوية وبالالمانية بل استنفدت جميع ما اعرف من اللغات فلم أر فى وجوههم امارة على فهم شيء منها . وكان فى الميناء بعض الملاحين الروسيين واليونانيين والزوجيين فلم يكونوا أسعد حظاً منى فى مخاطبتهم . تجلت هذه الحادثة بشكل الأمور الغريبة فكأن هؤلاء الغرقى فى نظر الناس أموات بعثوا ولم يعرفوا لغات الاحياء

وأما الفتاة الصغيرة التى يظهر انها بنت خمس فكانت نجاتها كمعجزة من المعجزات وكانت ابصار الملاحين قد زاغت دونها ولم تهتد فى الضباب الذى اثارته الامواج اليها ولكن قوبيدون لمح بعينه التى تحاكي عين الفهد شبه كتلة معلقة فى بقايا أدوات السفينة وخاطر بنفسه فى التسلق لاكتشافها أشد المخاطرة فالفاها بنتاً قد لفت فى نسيج ولبوس وعلقت على ارتفاع عشرين قدماً وسط الحبال المتقطعة وكانت مغمى

عليها من البرد والجوع والخوف فاخذها والقاها فى الزورق فظلت فى غيبة نماسها كذلك الطائر البحري الذى يُرى متخذراً طافياً على سطح المحيط

أدرك هؤلاء الغرقى فى الوقت الذى يجب انقاذهم فيه اذ لم يمض على ذلك بضع ساعات حتى هاج البحر هيجة حطمت بقايا السفينة وبددت الواحها تبديداً . وكانت القرائن تدل على انه لم ينج من ركابها الا هؤلاء

اخذ الغرقى الى ملجأ الملاحين ليساعدوا على ضعفهم وطلبت ان تضم البنت اليّ والفضل كله فى هذا البر لاخلاص قويدون . ليت شعرى من أي البلاد هي ؟ ان ملامح وجهها وشعورها الحالكة وجلدها الذهبي تدل على انها من البلاد الجنوبية . هل هي يتيمة ؟ وهل غرق أبواها ؟ ومن هو صاحب اليد التى علقتها فى بقايا الصارى ؟ تلك اسرار محجوبة عني ولكن الظاهر انها ليست لاحد الذين نجوا من الغرق . ولا بد ان تقف قريباً على خبر السفينة ومن فيها وسأكتب اليك بما اعلمه من ذلك واستودعك الله قائلة : ان من حبك ان اتأثر بمصائب الناس واهتز لها

(حاشية) عرف اسم السفينة وهو (أيا كوكو) وغرقاها من البروفين الذين يتكلمون بالاسبانية غير الصحيحة هذا كل ماعلم الى الآن عن هذه الحادثة البحرية المحزنة

(ريشة صادق) نذكر هنا بمناسبة كون هذه الرسالة فى موضوع تعليم الخط والرسم ماتوهت به الجرائد اليومية من اختراع خليل بك صادق صاحب مكتبة ومطبعة الشعب ريشة للكتابة تفضل امثالها بخصائص منها انها تكتب عدة أسطر بغمسة واحدة فى الحبر وقد اقبل الناس عليها كثيراً